المحاضرة الرابعة: نظرية تشكل رد الفعل للعالم كوهن. .

تعد نظرية تشكل رد الفعل للعالم كوهن من النظريات التي ركزت على جرائم الأحداث في الطبقات الدنيا، على غرار نظرية اللامعيارية لميرتون، ونظرية تباين الفرص لكلوارد وأهلن، وهذا راجع لانتمائهم للطبقة الفقيرة.

ولد **كوهن** سنة 1918 ببوسطن لأسرة تنتمي للطبقة الفقيرة، درس في جامعة "هارفرد" على يدي "ميرتون" و"بارسونز"، وتتلمذ ايضا على يد "سذرلاند" في جامعة "انديانا"، وحصل على الدكتوراه سنة 1951، ووضع نظريته فيها بشكل مبدئي.

اعتمد كوهن في تفسيره لانحراف الاحداث على أعمال "ميرتون" و"كلوارد" و"أهلين"، وبعد دراسة نقدية توصل إلى أن كلا النظريتين تناولتا كيفية استمرار الحدث المنحرف في العصابة، إلا أنهما لم يتطرقا إلى عملية نشوء الانحراف لأول مرة، هذه النقطة ركز عليها كوهن في بناء نظريته.

توصل كوهن وهو يبحث عن أصل نشوء الانحراف إلى أن المجتمع الأمريكي في المدن الكبرى مقسم إلى ثلاث طبقات الفقيرة والوسطى والعليا، وأن كل أفراد هذه الطبقات يبحثون عن تحقيق مكانة اجتماعية، والتي تعبر غالبا عن قيم نشأ عليها أبناء الطبقات الوسطى والعليا، وتعمل بيئتهم الأسرية بالدرجة الأولى على ترسيخها الشخصي، وهي قيم التعلم والاحترام والطموح والعمل والابتعاد عن الملذات التي تجلب الشرور والآثم، وهذه القيم يفتقر إليها ابناء الطبقات الدنيا الذين لم تتح لهم الفرص للتعليم أو حتى اكتساب هذه القيم من بيئتهم الأسرية، وبالتالي يعملون على انتاج ثقافة فرعية منحرفة كحل لهذه المشكلة، تعبر عن القيم والمعايير السائدة في الثقافة التحتية، والتي تسمح لهم بالاندماج والترابط وخلق مواقف مشتركة فيما بينهم، والتمرد على قيم الطبقات الوسطى والعليا، وذلك تعبيرا عن رفضهم للتميز والتفرقة واللامساواة في المعاملة الذي يمارسه أبناء الطبقات الوسطى والعليا، وهذا ما أطلق عليه كوهن بـ**تشكل رد الفعل**، وحسبه هو الأساس في فهم أصل الانحراف.

كما يمكن رصد أهم الأفكار التي جاءت في النقاط التالية:

1. أفراد المجتمع يشتركون في نسق قيمي مشترك يؤكد على قيم دون غيرها، وفي امريكا غالبا ما تكون هذه القيم هي قيم الطبقة الوسطى.

2. إن هذه القيم المشتركة تؤكد على أهداف العلاقة العضوية بتحصيل المكانة الاجتماعية، وهكذا تصبح المكانة هدفا ثقافيا.

3. غالبا ما تتوفر الفرص بشكل أكثر لأبناء الطبقات الوسطى لبلوغ الأهداف الاجتماعية.

4. إن المؤسسات الاجتماعية وبالذات النظام التعليمي يعكس قيم وأهداف الطبقات الوسطى، وبناء عليه يقيم الأخرون تبعا لتلك القيم.

5. وبما ان فرص طبقة الفقراء محدودة غالبا لا يقيمون بشكل ودي علاقة مع النظام المدرسي، مما يدفع بهم إلى الإحباط في السعي وراء المكانة الاجتماعية.

6. وبسبب عدم مقدرتهم على استخدام الفرص المدرسية (الحصول على علامات مرتفعة) يثور أبناء طبقة الفقراء ويتشكل رد فعل ضد قيم الطبقة الوسطى علما أن هدفهم هو المكانة.

7. مع مرور الزمن يلجأ أبناء الطبقات الفقيرة لصنع نسق قيمي مضاد لقيم الطبقة الوسطى وعادة ما يكون غير سوي إلا أنه يوفر لهم فرص الحصول على المكانة الاجتماعية.

هذا الحل المنحرف ينتقل من جيل إلى جيل، أي أن القيم لتلك الثقافة الفرعية المنحرفة تنتقل بالوراثة الثقافية إن صح التعبير أي تلك التي تتوفر فيها المكانة لسلوك غير نفعي وغير هادف وسلبي وغير عقلاني وقصير المدى.

ويتصف أفراد العصابات الجانحة من الطبقات الدنيا حسب "كوهن" بالسمات التالية:

1_ **سمة اللانفعية:** فسلوك أفراد هذه العصابات لا تحكمه المعايير النفعية، فحين يسرقون ليس لديهم دافع نفعي يسعون لتحقيقه، فالفرد في الطبقة الدنيا حينما يتجه للسرقة يكون ذلك لتحقيق المكانة الاجتماعية داخل العصابة، فسلوكه حينئذ يعد تعبيرا عن رفضه لقيم المجتمع، حيث تصبح السرقة في نظره وسيلة لتحدي المجتمع، كما تعد وسيلة للتعبير عن التماسك بين الحدث الجانح وبين حملة القيم الاجرامية.

2_ سمة الحقد: يذهب "كوهن" إلى أن سلوك أفراد عصابات الطبقات الدنيا يتسم بالحقد، ويتضح ذلك من خلال تحطيم وتخريب الممتلكات وما يحملون من عداء تجاه أفراد المجتمع.

3_ سمة السلبية: حيث يستمد أفراد العصابات في الطبقات الدنيا قيمهم ومعاييرهم من خلال تبني عكس ونقيض القيم والمعايير السائدة في المجتمع، فعلى سبيل المثال يعد الغياب وتكرار الهروب من المدرسة تحديا لما تؤكد عليه قيم الطبقة الوسطى من ضرورة الحضور المنظم في المدرسة.

4_ سمة المتعة الوقتية (اللحظية): فهم لا يهتمون بالأهداف بعيدة المدى ، ولا يتجهون إلى الأفعال التي تتطلب التروي والتخطيط

وهكذا نخلص إلى القول أن نظرية "كوهن" قد وفرت لنا حلا لضغوط البناء الاجتماعي، فأبناء الطبقات الفقيرة الطامعين في مكانة اجتماعية والذين يقابلون بالرفض وعدم المعاملة الجيدة يتجهون كحل لهذه المشكلة نحو العصابات.

تعرضت هذه النظرية لمجموعة من الانتقادات أهمها أنها ركزت على جرائم الفقراء، وأهملت جرائم الطبقات الوسطى والعليا، فاتهمت بالعنصرية والعرقية، كما أهملت الفوارق الفردية والعوامل النفسية.

كما كشفت دراسة ميدانية للسمات الخاصة الجانحة كما حددها "كوهن" قام بها الدكتور "عدلي السمري" توصل إلى النتائج التالية:

_ بالنسبة لسمة اللانفعية: أوضحت الدراسة أن السلوك الجانح رشيد ونفعي يهدف في النهاية إلى تحقيق عائد مادي مرتفع.

_ بالنسبة لسمة المتعة الوقتية: أظهرت الدراسة الميدانية أن غالبية الاحداث الجانحين نظرتهم للمستقبل يغلب عليها الطابع التخطيطي، فهم لا يفعلون شيء دون أن يكون له هدف.